

شيء ذكره تبعث القسعريرة في . على أن قداسة المكان هدأت من ثائرة الجمهور . ودعاني راعي الكنيسة بابنه ، وناولني فنجاناً من الشاي وخاطت زوجه بنطالي الذي كان تمزق بفعل الهجوم الذي سُئ عليّ ، وكتف عن أعضاء خلقت كيما تُستر . أما أنا ففكرت - وما أعجب الرابطة البعيدة بين الأفكار! - أقول فكرت تلك اللحظة في طفولتي لما كنت راعياً أرعى بقرة والدي الصغيرة المبقعة ببقع سود وبيض .

إنها لحظات من الضعف . ومن منا لم يعان منها ؟

ألقى راعي الكنيسة من منبره موعظة جميلة ، ثم ردّتها عليّ زوجه في المطبخ . ولا شك في أنها حفظتها حفظاً ، وأخذت الزمرة من مطاردي تهاداً شيئاً فشيئاً ، إلى أن وجد أفرادها شيئاً أمتع من مطاردة غريب ذي بناطيل ممزقة ، فتسلّوا به ، والحمد لله على رعايته لي .

اجتمع راعي الكنيسة بنا (أي بزوجه وبني) ، وقال لي شيئاً نظير ما يلي : قد نجوت من ذي عظمة ، يا فتى . فماذا لو كنت زنجياً ؟! فأجبتته عن ذلك بتسيء ، لا أتذكره ، وإن كنت أعلم أنه شبيه بالقول : لا ، يا سيدي ، لست زنجياً ، فأنا بفضل الله من بيتانتوس التابعة لمدينة لاكورونيا في إسبانية .

سألني بعد ذلك عن مشاريعي ؛ ولما قلت له إن حلم حياتي الوحيد ألا أصطدم مرة أخرى بالحرس البرازيلي ، شرع يحدثني عن التطلعات السامية وترهات آخر ، وانتهى إلى أن اقترح عليّ تعليمي عقيدة طائفته ، وهي طائفة ليست كالتوائف الأخر ، حسب زعمه ، وإنما هي الأس الذي ستقوم عليه الرفاهية الروحية والمادية للإنسانية في المستقبل .

ليس الأمر في أن يكون المرء من ذوي الإحسان ولا غير ذلك . لكن ، إذا كنا نحن - الإسبان والصينيين والفرنسيين واليابانيين والطلليان والهنود -